المرآة وصديقاتي النجمات

ألتحف بظلام الليل فوق سطح المنزل وحيدة كعادتي، أداعب النجوم في السماء، فألمسها بإصبعي من بعيد، أغادر مسرعةً على صوت والدتي تناديني، فقد حان ميعاد نومي، أمشط شعري بسرعةٍ قبل أن تطفأ أنوار المنزل، أنظر في الصورة العكسية للمرآة، أرى النجوم وهي تتلألأ من شباك الغرفة المفتوح يتشوقن لعودتي ويرغبن في استمرار اللعب معي فأودعهن بسرعة قبل أن تسدل والدتي الستائر، صوت قريناتي لازلن يَلْهون في الشارع تحت الأضواء الخافتة، تعاودني رغبة في اللعب معهن، أتذكر نصيحة أمي بالبعد عن مصادقة بنات الشوارع مثل أميرة، ومنى، ونيرمين أعز صديقاتي، لم تكن بذيئاتٍ للدرجة التي وصفتها لي أمي، أتذكر حديثي معهن من الشباك فتؤلمني وكزة ذراعها وهي تغلق النافذة في وجوههن فأهمس معاتبة لها في خجل، أنتظر الصباح لتشتبك أصابعي في أصابعهن ونحن ذاهبات إلى المدرسة، يتبادلن حديثاً خاصاً يتعلق بالصبايا المراهقات، أخجل عن التورط معهن فيه وأشرد بذهني؛ فيهمسن متحدثات عني؛ فأنطوي مبتعدة عنهن، لأقف وحدي أتذيل طابور الصباح المدرسي، تردد التلميذات

النشيد الوطني فأتلعثم في كلماته، تدخل الطوابير الفصول فأجلس في الصف الأول الخاص بقصيرات القامة وتبدأ حصة الدراسات، فيسألني مدرس الجغرافيا مازحاً عن موقع وطني العربي على خريطة أوروبا، يحمر وجهي خجلاً وأحاول جاهدة البحث عن إجابة فتعلو ضحكات وقفشات قريناتي، أعود على الطريق إلى بيتي وحيدة لألحق بوجبة الغداء، وهنا على المائدة نجتمع لمرة واحدة في اليوم كأسرة، نحكي مجريات أهم الأحداث اليومية، ينتظر الجميع سماع صوتي فأحكي فقط ما حدث لي من إيجابيات وأتجاهل الأحداث السلبية، أقوم إلى مكتبي وأحاول جاهدة إنهاء واجباتي قبل ميعاد لعبي الليلي مع النجوم.

أجد نفسي الليلة غير راغبة في المذاكرة، أمسك بقلمي على غلاف كتابي اسجل حلمي وأحلام صديقاتي، أميرة تريد أن تصبح ثرية، بينما تتمنى نيرمين أن تكون مهندسة، أما منى فتريد ان تصبح كاتبة مشهورة، أما حلمي أنا فدقات عقارب الساعة تشير إلى انتهاء الوقت والآن يجب ان أخلد إلى النوم، سأسجله في وقت لاحق.

كان نومًا مؤرقًا، استيقظت ليلاً والظلام يلف المكان إلا بصيص ضوءٍ من ستائر البيت التي تغض بصري عن النجوم ..

فتحت الشباك، عدت لنجماتي عبر المرآة التي ودعتهن منها، أنظر إليهن في السماء، سرحانةً، أفكر بينما تتهلل روحي بانعكاسات أضواء النجوم المتلألأة حول صورتي في المرآة، تسمرت في مكاني، مرت سنة فأجتزت كل الامتحانات بنجاح إلا امتحان الجغرافيا.

مرت سنة أخرى فقدت بعدها كل صديقاتي، تبعتها سنوات عدة، فما كانت الساعات لتكف عن هرولتها ولا الأيام لتكف عن كثافة أحداثها إلا وأصبحت أميرة زوجة لأحد الأثرياء، ونرمين تدرس في كلية الهندسة بعد أن فشلت في السنوات الأولى بالطب، بينما كتبت منى رواية عن حكايتنا وفيها بحثت عن نفسي لأجدني ما زلت في مكاني ليلاً أحاول لمس النجمات في مرآتي فتمنعني صورة إنعكاس يدي في الإتجاه المعاكس بالمرآة، كنت بطلة الرواية وأضحت لكل منهن صديقات هن مرآتها.